الناظرة وفتق فينا الآذان السامعة ومنحنا الحواس الفاضلة ورزقنا النطق والتمييز اللذين بهما استأهلنا أن يخاطبنا وسخّر لنا ما فى السموات وما في الارض من الكواكب والعناصر ولم يفضّل علينا من خلقه شيئاً غير الملائكة المقدّسين الذين هم عمّار السموات فقط فأين تقع نعمُ المنعمين من هذه النعم فمن قدّر أنه يشكر محسنا اليه بمساعدته على باطل أو بمحاباته فيما لا يجوز فقد كفر نعمة أعظم المنعمين وجحد احسان أجلّ المحسنين اليه ولم يشكر ولي الشكر حقاً ولا حمد أهل الحمد أصلا وهو الله عز وجل ومن حال بين المحسن اليه وبين الباطل وأقامه على مُرّ الحق فقد شكره حقا وأدّى واجب حقه عليه مستوفى ولله الحمد أولا وآخراً وعلى كل حال

﴿ فصل فى حضور مجالس العلم ﴾

اذا حضرت مجلس علم فلا يكن حضورك الا حضور مستزيد علماً وأجراً لا حضور مستغن بما عندك طالبا عثرة تشيعها أو غريبة تشنعها فهذه أفعال الأرذال الذين لا يفلحون فى العلم أبداً فاذا حضرتها على هذه النية فقد حصلت خيراً على كل حال وان لم تحضرها على هذه النية فجلوسك في

منزلك أروح لبدنك وأكرم لخلقك وأسلم لدينك فاذا حضرتها كما ذكرنا فالتزم أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها وهى إما أن تسكت سكوت الجهال فتحصل على أجر النية فى المشاهدة وعلى الثناء عليك بقلة الفضول وعلى كرم المجالسة ومودة من تجالس . فان لم تفعل ذلك فاسئل سؤال المتعلم فتحصل على هذه الاربع محاسن وعلى خامسة وهى استزادة العلم . وصفة سؤال المتعلم أن تسئل عما لا تدرى لاعما تدري فان السؤال عما تدريه سُخف وقلة عقل وشغل لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لالك ولا لغيرك وربما أدّى الى اكتساب العداوات وهو بعدُ عين الفضول فيجب عليك أن لا تكون فضوليا فإنها صفة سَوْءٍ فان أجابك الذى سألتَ بما فيه كفاية لك فاقطع الكلام وان لم يجبك بما فيه كفاية أو أجابك بما لم تفهم فقل له لم أفهم واستزده فان لم يزدك بيانا وسكت أو أعاد عليك الكلام الاول ولا مزيد فأمسك عنه وإلا حصلت على الشرّ والعداوة ولم تحصل على ما تريد من الزيادة

والوجه الثالث أن تراجع مراجعة العالم وصفة ذلك أن تعارض جوابه بما ينقضه نقضاً بيناً فان لم يكن ذلك عندك

ولم يكن عندك الا تكرار قولك أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة فأمسك فانك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر ذلك ولا على تعليم ولا على تعلم بل على الغيظ لك وخصمك والعداوة التي ربما أدّت الى المضرّات واياك وسوء آل المعنت ومراجعة المكابر الذي يطلب الغلبة بغير علم فهما خُلقا سوء دليلان على قلة الدين وكثرة الفضول وضعف العقل وقوة السخف وحسبنا الله ونعم الوكيل

واذا ورد عليك خطاب بلسان أو هجمت على كلام فى كتاب فإياك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المغالبة قبل أن تتبين بطلانه ببرهان قاطع . وأيضا فلا تقبل عليه إقبال المصدّق به المستحسن إياه قبل علمك بصحته ببرهان قاطع فتظلم فى كلا الوجهين نفسك وتبعد عن ادراك الحقيقة ولكن أقبل عليه اقبال سالم القلب عن النزاع عنه والنزوع اليه ولكن اقبال من يريد حظ نفسه فى فهم ماسمع ورأى فالتزيّد به علماً وقبوله ان كان حسناً أو ردّه ان كان خطأً مضمون لك ان فعلت ذلك الاجر الجزيل والحمد الكثير والفضل العميم

مَن اكتفى بقليله عن كثير ما عندك فقد ساواك في

الغني ولو أنك قارون حتى اذا تصاون فى الكسب عما تشره أنت اليه فقد حصل أغنى منك بكثير . ومن ترفّع عما تخضع اليه من أمور الدنيا فهو أعز منك بكثير

فرض على الناس تعلّم الخير والعمل به فمن جمع الامرين فقد استوفى الفضيلتين معاً ومن علمه ولم يعمل به فقد أحسن في التعليم وأساء في ترك العمل به فخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به وهذا الذي لا خير فيه أمثل حالا وأقل ذماً من آخر ينهى عن تعلّم الخير ويصدّ عنه . ولو لم ينه عن الشر إلا من ليس فيه منه شيء ولا أمر بالخير إلا من استوعبه لما نهى أحد عن شرّ ولا أمر بخير بعد النبي صلى الله عليه وسلم وحسبك بمن أدى رأيه الى هذا فساداً وسوء طبع وذم حال وبالله تعالى التوفيق

قال أبو محمد رضي الله عنه فاعترض هاهنا انسان فقال كان الحسن رضي الله عنه اذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً واذا أمر بشيء كان شديد الأخذ به وهكذا تكون الحكمة وقد قيل أقبح شيء فى العالم أن يأمر بشيء لا يأخذ به فى نفسه أو ينهى عن شيء يستعمله (قال أبو محمد) كذب قائل هذا وأقبح

منه من لم يأمر بخير ولا نهى عن شر وهو مع ذلك يعمل الشر ولا يعمل الخير. قال أبو محمد وقد قال أبو الاسود الدؤلي

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك اذا فعلت عظيم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ان وعظت ويقتدى بالعلم منك وينفع التعليم

قال أبو محمد ان أبا الاسود انما قصد بالانكار المجيء بما نهى عنه المرء وأنه يتضاعف قبحه منه مع نهيه عنه فقد أحسن كما قال الله تعالى «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم» (ولا يظن بأبي الأسود الا هذا) وأما أن يكون فهى عن النهي عن الخلق المذموم فنحن نعيذه بالله من هذا نهو فعل من لا خير فيه وقد صح عن الحسن أنه سمع انسانا يقول لا يجب أن ينهى عن الشر إلا من لا يفعله فقال الحسن ودّ إبليس لو ظفر منا بهذه حتى لا ينهى أحد عن منكر ولا يأمر بمعروف وقال أبو محمد صدق الحسن وهو قولنا آنفاً جعلنا الله ممن يوفق لفعل الخير والعمل به وممن يبصر رُشْدَ نفسه فما أحد إلاّ له عيوب اذا نظرها شغلته عن غيره وتوفانا على سنة محمد صلى الله عليه وسلم آمين رب العالمين